معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي

دراسة تحليلية

صراع القوى العظمى بين الحفاظ على الهيمنة
واعادة انتاج نظام عالمي جديد
"من عدسة نظرية توازن القوى "

الدكتور عوض سليمية

باحث في العلاقات الدولية

مدير وحدة الابحاث والدراسات الدولية

الملخص

توازن القوى هو واحد من أقدم المفاهيم وأكثرها أساسية في نظرية العلاقات الدولية، وهو المحرك الذي يدفع صناع القرار في موسكو وبكين نحو التفكير في وجوب إحداث توازن قوى لمواجهة القطبية الاحادية الامريكية. ضمن هذه الرؤية المشتركة، فإن الشراكة الاستراتيجية بين روسيا والصين، المصنفتان على القوائم الامريكية باعتبارهما تهديداً قوياً لمصالح واشنطن، لا يبدو انها شراكة طارئة كما ظن البعض، بل أصبح هذا التحالف قائم على قناعة راسخه لدى قادة القطبين الكبيرين بان مشاركة مواردهما معاً، مع رؤية مشتركة سيمكنهما من إعادة ضبط توازن القوى، عبر تشكيل نظام عالمي جديد متعدد الاقطاب او المحاور، قائم على المنفعة المتبادلة لكافة الاطراف، متمركز حول مقاصد ومبادئ الامم المتحدة الحقيقية. هذا التحالف يشجع باقي الدول الاخرى غير الصديقة لواشنطن او تلك التي الحقت بها سياسات واشنطن ضرراً حيوياً، للالتحاق في مسار هذا التحالف الجديد الذي بدأ يتبلور. احدى هذه المسارات الناجحة هي، إعلان بكين وموسكو التمسك بمبادئ ومقاصد الامم المتحدة وقواعد العلاقات الدولية – التي دائما ما تتجاوزها واشنطن. هذا الصوت بدأ يجد صداه في مختلف قارات وعواصم العالم بما فيها افريقيا وامريكا اللاتينية ومعظم الدول في قارة اسيا والشرق الاوسط عموماً. وبدأت حكومات هذه الدول ترسل رسائل جادة لبريد واشنطن، محورها: ان العلاقات الثنائية يجب ان تكون قائمة على مراعاة مصالح كافة الاطراف وعلى قاعدة المنفعة المتبادلة وليست الاحادية.

المقدمـة

يبدو أن السلام الدائم بين القوى العظمى لم يعد في متناول اليد كما اعتقد بعض منظري نظريات العلاقات الدولية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ومع الرغبة الجامحة للولايات المتحدة بإستمرار الصراع الهادف للحفاظ على نظامها الدولي المهيمن الذي تبلور بشكله النهائي بعد انهيار الكتلة الشرقية عام 1991. إلا أن المنافسين المحتملين (روسيا والصين)، يجدان الظرف الدولي مواتٍ لبسط نفوذهما على الساحة الدولية، ومنافسة واشنطن في الجلوس الموازي على المرتفعات العالمية. وفي سبيل ذلك، يتفاعل القطبان (موسكو وبكين) بين إستخدام القوة العسكرية وتوسيع الحضور العالمي إقتصادياً، دبلوماسياً وسياسياً، بهدف تغيير ميزان القوى السائد.

في أكتوبر تشرين الأول2022، نشر البيت الأبيض استراتيجية[1] الأمن القومي الأميركي، وميز التقرير بين نوعين من التهديدات التي تواجهها واشنطن في آن واحد، محورها موسكو وبكين، في هذا السياق، اكد الرئيس بايدن أن "روسيا تشكل تهديداً فورياً للنظام الدولي الحر والمفتوح، وتنتهك بشكل متهور القوانين الأساس للنظام الدولي اليوم، كما أظهرت حربها العدوانية الوحشية ضد أوكرانيا". بالمثل، وصف الرئيس بايدن جمهورية الصين بأن "لديها النية، والقدرة، بشكل متزايد، على إعادة تشكيل النظام الدولي لصالح نظام يميل ساحة اللعب العالمية لصالحها".

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على الفرضية القائلة ان التقارب الروسي–الصيني يشكل دعامة صلبة نحو تأسيس نظام دولي متعدد الاقطاب، قائم على مبادئ ومقاصد الامم المتحدة ومناهض للنظام العالمي الذي شكلته واشنطن بعد انتهاء الحرب الباردة، من خلال عدسة نظرية توازن القوى Balance Power في العلاقات الدولية. إنطلاقاً من مناقشة الادبيات الواردة في سياق: فشل واشنطن في تشكيل جبهة عالمية مُوسعة لهزيمة روسيا في اوكرانيا، على غرار التحالف الدولي ضد: العراق، افغانستان، صربيا، سوريا، ليبيا... الى جانب، إخفاق واشنطن حتى الان في إفشال التقارب القائم بين بكين وموسكو

[1] https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/2022/10/Biden-Harris-Administrations-National-Security-Strategy-10.2022.pdf

والذي وصل الى مستوى شراكة استراتيجية شاملة، بالتوازي يعمل الحليفان على تصليب الارضية نحو مزيد من انضمام الدول غير الصديقة لواشنطن الى هذا الحلف الجديد عبر بوابة بريكس، طريق الحرير ومنظمة شنجهاي للتعاون.

الكلمات المفتاحية: نظرية توازن القوى، الشراكة الاستراتيجية الروسية–الصينية، النظام العالمي متعدد الاقطاب، الازمة الروسية–الاوكرانية. روسيا–الصين–الولايات المتحدة. بركس، شنجهاي.

مشكلة الدراسة

بينما يحشد قادة القطبين الكبيرين، موسكو وبكين قوتهما في الشراكة الاستراتيجية المُعلنة من اجل حماية المبادئ[2] والمقاصد التي أُنشأت من اجلها الامم المتحدة، (السلام والأمن، حقوق الانسان، سيادة القانون والتنمية المستدامة). الى جانب، الدعوة الى ضرورة تغيير قواعد السلوك الامريكي احادي القطبية، بما يشمل، حث واشنطن على إعادة النظر في الهواجس الجيوسياسية والامنية والاقتصادية ومراعاة مصالح كافة الاطراف العالمية. إلا ان الاخيرة تظهر في سلوكها عزماً كبيراً للحفاظ على شبه مبادئ وقوانين الامم المتحدة، ولكن من عدسة المصالح[3] الامريكية، التي تأخذ بعين الاعتبار الحفاظ على النظام العالمي القائم، وعدم السماح لاي دولة أو تحالف دولي ناشئ بمنافستها على قيادة العالم.

ضمن هذا المفهوم، فإن ما يجمع المتصارعون على المسرح الدولي، هو أن جميع الاطراف تتحدث عن حقها في حماية مستقبل النظام العالمي، والحفاظ على الشرعية الدولية. ولكن من وجهات نظر متناقضة تماماً، من ناحية، يرى الطرف الاول، ان من حقه السعي لانشاء نظام عالمي متعدد الاقطاب لاستعادة

[2] https://www.un.org/en/model-united-nations/4-pillars-united-nations
[3]https://www.independentarabia.com/node/399286/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%B1/%D9%88%D8%A7%D8%B4%D9%86%D8%B7%D9%86-%D8%AA%D9%83%D8%A7%D9%81%D8%AD-%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%88%D9%8A%D8%B6-%D8%A5%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A

التوازن العالمي، وسحب الصلاحيات التي منحتها واشنطن لنفسها كدولة احادية القطبية العالمية. من ناحية اخرى، يحشد الطرف الثاني وهنا واشنطن، كافة موارده وحلفاءه من الغرب الجماعي لاجهاض قيام أي تحالف يوازي او يهدد سيادتها على العالم، حفاظاً على مصالحه الذاتية.

نظرية توازن القوى

نظام توازن القوى أو نظام تعدد المراكز القطبية، هو النظام القائم على تعدد التحالفات أو محاور القوى المضادة والتي تتكافأ قواها أو تكاد، وذلك لردع أي محور دولي من استغلال أي تفوق مؤقت في قواه لتغيير معالم الوضع الدولي القائم، الذي من ابرز خصائصه تعدد القوى واستقلال الدول ومرونتها الكاملة في الدخول أو الانسحاب من تحالفات وتجمعات القوى هذه[4]. يقول ستيفن لوبيل[5]، إن ميزان القوى هو واحد من أقدم المفاهيم وأكثرها أساسية في نظرية العلاقات الدولية. ويضيف، على الرغم من وجود العديد من الاختلافات في نظرية توازن القوى وتفسيرات المفهوم، إلا أن جميعها تستند إلى الحد الأدنى من الاتجاه والحد الأقصى لنموذج التوازن المتكرر الشبيه بالقانون. وفقا لهذا النموذج، يتم التحقق من الاختلالات والتركيزات في القدرات العسكرية والمادية بين القوى العظمى، ويتم استعادة التوازن من أجل ضمان بقاء القوى الكبرى في النظام الدولي.

وتفترض نظرية توازن القوى[6] في العلاقات الدولية، أن قوة الدولة في حالة تغير مستمر وأن الدول تضمن بقائها من خلال منع التفوق العسكري الدائم من قبل دولة واحدة. الحجة المركزية للنظرية هي أنه عندما تجمع دولة واحدة السلطة، تتعاون الدول الأخرى من خلال تحالف دفاعي للتخفيف من تركيز السلطة في يدها. وبالتالي، هناك إعادة توازن مستمرة للقوى في الشؤون الدولية. وفي الوقت الحاضر، ينظر إلى الولايات المتحدة على أنها قوة عالمية مهيمنة في بيئة دولية أحادية القطب. ضمن هذه الحجة، يمكن

[4] الدكتور اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية. دراسة في الاصول والنظريات. ص26
[5] https://www.oxfordbibliographies.com/display/document/obo-9780199743292/obo-9780199743292-0083.xml
[6] https://study.com/learn/lesson/balance-of-power-theory-in-international-relations.html

تفسير الصعود[7] الاقتصادي والعسكري للصين بالتعاون مع روسيا في نطاق نظرية توازن القوى. ويعتقد بعض منظري العلاقات الدولية أن بيئة توازن القوى، أكثر ملاءمة من نظام الدولة المهيمنة، حيث يصبح العدوان أقل ربحية ويخلق المنافسون توازناً عالميا للقوى ويعيدون ضبطه. وهو ما يفسر اصرار[8] كل من الصين وروسيا على إنهاء النظام العالمي الأحادي القطب، والانتقال إلى نظام عالمي متعدد الأقطاب، والعمل على إعادة بناء الاسس التي يقوم عليها النظام الدولي، والذي يراعي مصالح جميع دول العالم، الى جانب الحفاظ على موروثها الحضاري والثاقفي وقيمها ومعتقداتها ويمنع التدخل في شؤونها. بعبارة اخرى، إنهاء قيادة واشنطن للعالم، وسحب كافة المزايا التي منحتها لها هذه الزعامة، ورفض إدعاءات الغرب القائلة بأن النظام الدولي الحالي قائم على قواعد ومبادئ عادلة، وان تغييرها سوف يدخل العالم في غابة من الفوضى.

يقول ميشيل هاس،[9] أحد الخلافات في العلاقات الدولية من وجهة نظر منظري المدرسة الواقعية، يتعامل مع استقرار القطبين في مقابل تعدد الأقطاب على المسرح الدولي. ويجادل مورتون كابلان، في تدوين وجهات نظر منظري التوازن الكلاسيكي للسلطة، بأن الأنظمة متعددة الأقطاب أكثر استقرارًا من الأنظمة ثنائية القطب. من ناحيته، يرى كينيث والتز ان عالم ثنائي القطبية سيكون افضل من عالم متعدد الاقطاب، ويستند في موقفه هذا على المشهد السلمي نسبياً الذي ساد الحلبة الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، ويجادل بأن التوزيع الثنائي القطب للقوة العالمية يمكن أن يضمن استقرار العالم. خلاصة قول الواقعيين، أن النظام الدولي احادي القطبية، لا يمكن إلا أن يكون مؤقتًا أو طارئاً، وان اساس التوازن الدولي هو تعدد الاقطاب، إما من خلال العودة إلى وجود قوَّتين رئيستين، أو عدة اقطاب من القوى العظمى[10].

[7] https://democraticac.de/?p=64890
[8] https://www.aljazeera.net/opinions/2022/10/11/%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%88%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7-19-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%85%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%81
[9] https://www.cambridge.org/core/journals/american-political-science-review/article/abs/international-subsystems-stability-and-polarity/491263700D8977A4C15C9CD17E70756C
[10] الرؤى الاستراتيجية لثلاثي القطبية الدولية. تحليل مضمون مقارن. الدكتور علي الجرباوي. مجلة سياسات عربية. اذار/مارس 2018

في سياق هذا الجدل، حذر والتز (1979) من السعي المفرط للدول/ة إلى تعظيم نفوذها على المسرح الدولي، ذلك بأن النسق الدولي سوف يعاقب الدول/ة التي تسعى الى اكتساب حجم هائل من القوة، لا سيما تلك الدول التي تسعى بتهور إلى الهيمنة العالمية. لان من شأن هذا السلوك المرفوض، دفع الدول العظمى الاخرى للسعي إلى تشكيل تحالفات مناوئة للدولة المهيمنة بُغية تحقيق التوازن مع هذه القوة المتعاظمة، على نحو سيجعل هذه الدولة اقل أمناً، وربما ينتهي الامر بتدميرها على نحو ما حدث مع فرنسا النابليونية (1792–1815)، ألمانيا إلامبراطورية (1900 – 1918) وألمانيا النازية (1933 – 1945). وهكذا فإن القوى المتعاظمة الساعية إلى الهيمنة هُزمت في نهاية المطاف من قبل تحالف مضاد من القوى العظمى[11]. من ناحيته، يجد عالم النظرية الواقعية جون ميرشايمر[12] رابطاً بين سيادة النزعة العدوانية بين الدول وإحتدام التنافس، جمعها في ثلاث سمات سائدة في هيكل قوى النظام الدولي الحالي، وهي:

(1) غياب سلطة مركزية تجلس فوق الدول ويمكن أن تحميها من بعضها البعض

(2) حقيقة أن الدول لديها دائمًا بعض القدرات العسكرية الهجومية، و

(3) حقيقة أن الدول لا يمكنها أبدًا التأكد من نوايا الدول الأخرى تجاهها.

بالنظر إلى هذا الخوف – الذي لا يمكن القضاء عليه تمامًا – تدرك الدول المتعثرة أنه كلما زادت قوتها بالنسبة لمنافسيها، كانت فرصها في البقاء أفضل.

الاحتواء الفاشل

بعد انهيار الكتلة الشرقية عانت روسيا الاتحادية وريثة الاتحاد السوفييتي من إهتزازات افقدتها هيبتها، وانحسر نفوذها الجيوسياسي والاقتصادي على المسرح الدولي لعدة عقود. وكانت نتائج الانهيار كارثية على المصالح الروسية، ولم تقتصر خسائر موسكو على فقدان حلفائها من دول المعسكر الشرقي، بل

[11] احمد محمد وهبان: النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية من مورجنثاو الى ميرشايمر، ص35

[12] https://samuelbhfauredotcom.files.wordpress.com/2015/10/s2-mearsheimer-2001.pdf

إمتدت خساتها لتشمل مساحات جغرافية كبيرة من الجمهوريات التي كانت تشكل فيما بينها "الاتحاد السوفييتي"، بما فيها مقاطعات جورجيا ومالدوفا، التي أدارت ظهرها لموسكو وتوجهت غرباً للاندماج في شراكات استراتيجية مع دول الاتحاد الاوروبي. من ناحيتها، ابتعدت دول البلطيق (لاتفيا، لتوانيا، واستونيا) الى ابعد من هذه الخطوط، والتحقت بحلف شمال الاطلسي "الناتو" NATO، الطامح للتمدد الى حدود روسيا، بالتوازي مع تهيأة الارضية الكاملة من قبل واشنطن وحلفاؤها لالحاق اوكرانيا الى صفوف الحلف، وتزامن دفع شعوب هذه الجمهوريات للانفصال التدريجي عن جذورها السلافية، مع المواقف العدائية للدولة الروسية من قبل الانظمة الحاكمة فيها.

على ضوء ما تقدم، وفي ظل نظام عالمي احادي القطبية مركزه واشنطن، عملت قيادات روسيا الاتحادية اللاحقة جاهدة على إعادة التوازن والاعتبار لمصالحها، وبدأت تسير على المسار الصحيح الذي يعيد لها إرثها المفقود، هذا المسلك تأكد بعد انتخاب الرئيس فلاديمير بوتين بتاريخ 7 مايو/ايار 2000. وتواصلت حلقاته مع وصول ديمتري ميدفيديف الى الكريملين في 4 سيبتمبر/ايلول عام 2008، وإعلانه المبادئ التي عرفت لاحقاً "مبادئ ميدفيدف[13] الخمسة" والتي تنص على:

1. حماية الروس أينما كانوا
2. الاهتمام بـ المصالح الحيوية في مناطق نفوذ موسكو
3. الالتزام بمبادئ القانون الدولي
4. التأكد من ان العالم ليس مجرد عالم احادي القطبية تديره واشنطن وفقاً لمصالحها. و
5. ان روسيا ستطور علاقاتها مع باقي دول العالم على اساس المصالح المشتركة.

ومع عودة فلاديمير بوتين الى الكرملين عام 2012، اصبح تعبير "التعايش السلمي" الذي تخيله ذات يوم الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسين مع الغرب كبديل لمصطلح "الحرب الباردة" لا يغير من الحقيقة القائمة شيئاً. وعاد سباق التسلح حتى الاسنان على طرفي الكرة الارضية، واعيد إحياء النزعة

[13] https://www.csmonitor.com/Commentary/the-monitors-view/2008/0904/p08s01-comv.html

والاستعداد للقتال لحماية المصالح القومية والحيوية من وجهة نظر كافة الاطراف المتنافسة. واصبح الخط الفاصل بين السلام والحرب رفيعاً ولا يكاد يرى في كثير من الاحيان بل بات افتراضياً. ومع انكشاف نوايا دول حلف الناتو[14] وخططه التوسعية شرقاً عبر الارض الاوكرانية، ومحاولته خداع موسكو عبر توقيع اتفاقيات مينسك1 ومينسك2، تمهيداً لتسليح اوكرانيا جيداً، ودفعها لمواجهة شاملة مع موسكو، اصبح من الضروري على القيادة الروسية اخذ القرار والتحرك عسكرياً بعد استنفاذ المخزون السياسي والدبلوماسي الروسي، لنسف هذا المخطط، والحفاظ على الامن القومي الروسي الذي بات تحت تهديد نيران الناتو، وفقاً لتصريحات الرئيس بوتين.

في الذكرى السنوية الاولى لاندلاع الازمة الروسية–الاوكرانية والتي لم تقترب من الفطام. ألقى كل من الرئيسين الروسي فلاديمير بوتين، ونظيره الأمريكي جو بايدن، خطابين متناقضين تماماً، استعرض فيهما الرئيسان روايتهما الخاصة للحرب القائمة، ومواقفه من القضايا العالمية. من ناحيته كرر الرئيس بوتين[15] روايته بأن اطلاق العملية العسكرية الروسية الخاصة في الدونباس كان لها ما يبررها، من بين امور اخرى، طلبات اوكرانيا المتكررة للانضمام الى حلف الناتو، الامر الذي يشكل تهديداً مباشراً للامن القومي الروسي، ويؤكد بوتين في خطاباته أن الغرب لديه خطط موثقة على الورق لتقسيم روسيا وتمزيقها ليسهل اضعافها واحتوائها. من ناحيته، وضع الرئيس بايدن إدارته بشكل ملاصق لخطوط الرئيس الاوكراني زيلينسكي، وأكد إستمرار دعمه لكييف[16]، من منطلق "حق الشعوب في الحرية والاستقلال واختيار تحالفاتها، وان "الغزو" الروسي لاوكرانيا يدمر الديموقراطية وحقوق الانسان، ويتعارض مع مبادئ القانون الدولي[17]".

[14]https://www.arabtimenews.com/2022/12/13/%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D9%81-%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D9%8A%D8%B1-%D8%AD%D9%88%D9%84-%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7-%D9%8A%D8%B9%D8%B1%D8%B6%D9%91/
[15] https://2u.pw/PRvtlB
[16] https://2u.pw/HqSqXJ
[17] https://www.nbcnews.com/politics/biden-aims-rally-world-leaders-ukraine-un-remarks-rcna48355

ومع الحاجة الى تطوير اشكال الحروب الحديثة بما يضمن التفوق على الخصم، برز مصطلح حرب الوكلاء والحرب الهجينة[18]، في تصريحات القادة على طرفي الصراع. من ناحية، اتهمت بروكسل غريمتها موسكو بانتهاج الحرب الهجينة الموجهة نحو اوكرانيا والغرب، من خلال توجيه مقاربتها نحو الاستعمال الواسع للوسائل العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية، وغيرها من التدابير، وذلك لاستعادة المكانة السوفياتية الضائعة. بالمقابل، اتهم الروس قادة دول حلف الناتو بقيادة حرب بالوكالة والحرب هجينة[19] في اوكرانيا، من خلال الاصرار على امداد كييف بالمعدات العسكرية واللوجستية والدفع بالمرتزقة الاجانب الى ساحة المعركة لضمان استمرار الحرب، وبرز مصطلح "القتال حتى اخر اوكراني" وهو المصطلح الذي استخدمه الفيلسوم الامريكي نعوم تشوميسكي[20]، الى جانب مصطلح "القتال حتى اخر مواطن غربي"، في تصريحات القادة[21] الروس. وهو ما اشارت اليه صراحة تقارير الصحافة الامريكية بما فيها الواشنطن بوست[22].

في هذه الحرب، حشدت[23] واشنطن بالتنسيق مع حلفائها من دول الناتو وتحالف الاوكس AUKUS (بريطانيا، استراليا والولايات المتحدة)، الى جانب تايوان وكوريا الجنوبية، كافة مواردها الاقتصادية

[18] https://www.bbc.com/arabic/world-64545216
[19] https://apnews.com/article/russia-ukraine-government-sergey-lavrov-moscow-080ecb54bb9c162ecd8ce5471cf77be4
[20] https://www.skynewsarabia.com/world/1513074-%D8%AA%D8%B4%D9%88%D9%85%D8%B3%D9%83%D9%8A-%D8%A7%D9%94%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9%83%D8%A7-%D8%B3%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%AD%D8%AA%D9%89-%D9%8A%D9%82%D8%AA%D9%84-%D8%A7%D9%93%D8%AE%D8%B1-%D8%A7%D9%94%D9%88%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A
[21] https://www.alarabiya.net/arab-and-world/2023/03/21/%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D8%A3%D8%AC%D8%B1%D9%8A%D8%AA-%D9%85%D8%AD%D8%A7%D8%AF%D8%AB%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%87%D9%85%D8%A9-%D8%AC%D8%AF%D8%A7-%D9%88%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%AD%D8%A9-%D9%85%D8%B9-%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D9%86-
[22] https://www.washingtonpost.com/world/2023/01/18/foreign-fighters-war-ukraine-volunteers/
[23]https://www.aa.com.tr/ar/%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%8A-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%AD%D8%B2%D9%85%D8%A9-%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%A8%D8%A7%D8%AA-

والعسكرية، الى جانب النفوذ السياسي على الساحة الدولية، في سياق خطة إغراق موسكو في المستنقع الاوكراني (على غرار المستنقع الافغاني) وإخراجها من مصاف الدول العظمى المنافسة على قيادة العالم. واعلنت من بين امور اخرى، عن اصدار عدة حزم من العقوبات المتنوعة (وصلت قرابة 15 الف[24] نوع من اشكال العقوبات، طالت: (القيادة الروسية والافراد، التجارة ورجال الاعمال، التمويل، التكنولوجيا، فصل بعض البنوك عن نظام سويفت المالي العالمي، السلع، الحبوب، الاسمدة، سحب الاستثمارات الغربية من الاراضي الروسية، مغادرة الشركات الاجنبية، الرياضة والرياضيين، الحيوانات والطيور ، اللغة والفن والادباء الروس، النفط، الغاز ، اليورانيوم،الاسمدة، قيود السفر وتحليق الطيران المدني...الخ)، ويناقش قادة بروكسل اصدار المزيد من حزم العقوبات. في هذه الاثناء، تفاخر الرئيس بايدن[25] في خطابه من القلعة الملكية في وارسو، أن "واشنطن مستمرة في الحفاظ على أكبر نظام عقوبات فُرض على الإطلاق على أي بلد في التاريخ، وأنه سيعلن عن المزيد من العقوبات مع شركائه خلال الفترة القليلة القادمة" .

المناورات الغربية على فرض الاف انواع العقوبات جاءت نتائجها على عكس ما كان متوقعاً، فقد اظهر الاقتصاد الروسي صموداً وسجل نمواً لم يتصوره الغرب، وحافظت موسكو على علاقاتها التجارية والاقتصادية مع الدول الصديقة، التي لم تذعن للتحذيرات الامريكية بضرورة الالتزام بنظام العقوبات المفروض على موسكو، واضافت مزيداً من الدول على قوائم الاصدقاء. في هذا الصدد، يقول كينيث روجوف، تواصل روسيا بيع النفط إلى الهند والصين، وشراء الفواكه والخضروات الطازجة من المصدرين الإسرائيليين. علاوة على ذلك، فإن قدر كبير من التجارة يتم من خلال ما يسمى بإعادة الشحن (وكيل ثالث). ويضيف، من المؤكد أن الصادرات الأوروبية إلى روسيا تراجعت تماشياً مع نظام العقوبات. لكن في الوقت نفسه، ارتفع حجم التجارة بين روسيا ودول اخرى مثل تركيا وأرمينيا وكازاخستان وقيرغيزستان. بينما كان من المتوقع أن يتقلص الناتج المحلي الإجمالي الروسي بنسبة 10٪ على الأقل، قدر صندوق

%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D8%B6%D8%AF-%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7-/2805731

[24] https://www.statista.com/statistics/1293531/western-sanctions-imposed-on-russia-by-target/

[25] https://www.whitehouse.gov/briefing-room/speeches-remarks/2023/02/21/remarks-by-president-biden-ahead-of-the-one-year-anniversary-of-russias-brutal-and-unprovoked-invasion-of-ukraine/

النقد الدولي[26] أن الاقتصاد الروسي تقلص بنسبة تزيد قليلاً عن 2٪ فقط في عام 2022، ويتوقع أن ينمو قليلاً هذا العام 2023 بنسبة 0.3%. بعبارة اخرى، لقد فشل نظام العقوبات الغربي في إلحاق ضرر حقيقي بالاقتصاد الروسي.

يجادل فرانك فوجل[27]، بان الاقتصاد الروسي لم يتعرض للشلل في السنة الأولى من الحرب كما كان متوقعاً، ويرجع ذلك أساسًا إلى أن الحكومة الروسية وجدت طُرقًا لمواصلة تأمين كميات كبيرة جدًا من السيولة النقدية من بيع النفط. وتجاهلت حكومات كل من تركيا والصين والعديد من الدول المجاورة لشرق روسيا العقوبات ووجدت طرقًا لتصدير المنتجات المطلوبة إليها. تم نقل منتجات التكنولوجيا، والمنتجات الاستهلاكية، مثل الهواتف المحمولة والادوات المنزلية، بالشاحنات إلى روسيا من بيلاروسيا والصين وكازاخستان. ويتابع، من المحتمل جدًا أن روسيا تستورد الإمدادات العسكرية أيضًا. مضيفاً انه تم تحويل التجارة من وإلى روسيا عبر جورجيا والتي شهدت حركة مرور كثيفة للشاحنات بشكل استثنائي، ولا سيما دعم التجارة الروسية مع تركيا.

محاولات اغراق الخصم يبدو انها لم تنجح. يؤكد روجوف ما توصل له فوجل، ويضيف بأن سبب فشل نظام العقوبات على روسيا يعود بالدرجة الاولى الى ان العالم غير موحد في تطبيق نظام فرض العقوبات الذي اقرته الدول الغربية بصورة فرديه. ويرى كل من براتان اوتيل[28] ودانيال فريد، ان قرار مجموعة السبع بتقييد احتياطيات البنك المركزي الروسي لم يكن لها تأثير مباشر على النظام المالي الروسي، إذ سرعان ما طبق البنك المركزي الروسي ضوابط صارمة على رأس المال لوقف الانزلاق. وان وعودات بايدن بتحويل الروبل الى ركام ruble to rubble، كانت مجرد تلاعب بالكلمات ولم تكن صحيحة. وواصلت روسيا بيع منتجات الطاقة إلى العالم، وسمح لها النقد الأجنبي الناتج عن هذه المبيعات باستقرار قيمة الروبل، والتي اقتربت من مستويات ما قبل الحرب. ويضيف اوتيل، انه لمن المحرج ان يتحدث

[26] https://www.consilium.europa.eu/en/infographics/impact-sanctions-russian-economy/
[27] https://inkstickmedia.com/why-are-sanctions-failing-in-russia/
[28] https://www.atlanticcouncil.org/blogs/new-atlanticist/sanctions-alone-wont-defeat-russia-in-ukraine-but-theyre-having-a-bigger-impact-than-it-might-seem/

الرئيس بايدن عن عقوبات لم يشهدها التاريخ، بينما تواصل روسيا[29] تزويد الولايات المتحدة حاليًا بـ 28٪ من حاجتها من اليورانيوم المخصب لاغراض انتاج الطاقة، و31٪ من اليورانيوم المخصب الذي يستهلكه الاتحاد الأوروبي لنفس الاغراض.

بالمقابل، يرى خبراء الاقتصاد ان العقوبات الاقتصادية الغربية على موسكو، اضرت بالاقتصادات الغربية بشكل مباشر. لقد حاول صناع السياسة عبثاً فطم اوروبا عن الوقود الاحفوري الروسي قبل تأمين البديل. مع وضع ذلك في الاعتبار، يرى استاذ العلاقات الدولية جوهن ميرشايمر، ان موسكو ستسعى إلى استغلال الانقسامات القائمة بين الدول الأوروبية، بينما تعمل أيضا على إضعاف العلاقة عبر الأطلسي وكذلك المؤسسات الأوروبية الرئيسية مثل الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي. ونظرا للضرر الذي ألحقته الحرب بالاقتصاد الأوروبي وما زالت تلحقه، وخيبة الأمل المتزايدة في أوروبا من احتمال نشوب حرب لا تنتهي في أوكرانيا، ونظرا للخلافات بين أوروبا والولايات المتحدة فيما يتعلق بالتجارة مع الصين، وجد القادة الروس أرضا خصبة لإثارة المشاكل لدى الغرب، يقول ميرشايمر.

على المسرح الدولي، استطاع بوتين السياسي الموهوب اللعب بكل الاوراق الرابحة لصالحه، وحجز زعيم الدبلوماسية الروسية المخضرم سيرغي لافروف وفريقه مقعداً بعلامة دبلوماسية روسية فارقة، متفوقاً على الدبلوماسية الغربية في العديد من الساحات. من ناحية، أكد سلوك وتصريحات قادة الغرب الجماعي القائم على الدعم المتواصل لـ كييف، ما شدد عليه جنرال[30] الدبلوماسية في كل المناسبات، بأن "الغرب يتخذ كل القرارات بالنيابة عن اوكرانيا". "بهدف استخدام الصراع لاستنزاف روسيا". يقول اميل أمين[31] نجح لافروف منذ عام 2014 بنوع خاص في إبعاد شبح العزلة عن روسيا، وبخاصة بعد ضم شبه

[29] https://thedeepdive.ca/republicans-introduce-bill-to-ban-russian-uranium/
[30] https://apnews.com/article/russia-ukraine-government-sergey-lavrov-moscow-080ecb54bb9c162ecd8ce5471cf77be4
[31]https://www.independentarabia.com/node/309706/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%B1/%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%BA%D9%8A-%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%B1%D9%88%D9%81-%D8%AC%D9%86%D8%B1%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A9

جزيرة القرم إليها، فقد تفوق على نفسه كما يقال في الأسفار والمفاوضات واللقاءات المتكررة، لا سيما مع وزير الخارجية الأميركي وقتها جون كيري، الأمر الذي اعتبر نجاحاً ورصيداً مضافاً لموسكو وخصماً من سجل واشنطن.

في سياق متصل، واصلت الدبلوماسية الروسية نشاطاتها العابرة للقارات، ونجحت الى حد كبير في تمرير روايتها الخاصة بالعملية العسكرية في اوكرانيا، أو بالحد الادنى دفع الدول المترددة لاتخاذ موقف الحياد. مستندة الى امدادات الحبوب بما فيها القمح ومصادر الطاقة والاسمدة المجانية او تكاد. رافقها سلسلة نجاحات كبيرة في تصليب حربتها المتقدمة في بيلاروسيا، وشروعها بتزويد حليفها لوكاشينكو بقنابل نووية تكتيكية[32]. بالتوازي مع تأمين حديقتها الجنوبية الغربية كازاخستان وجيرانها في وسط اسيا، واصلت موسكو تدخلاتها الهادفة لانهاء التوتر بين اذربيجان وارمينيا، وصولا الى تأمين ممرات الى ايران والشرق الاوسط. على ضفاف المحيط الهادي، منحت موسكو زعيم كوريا الشمالية كيم جون اون كافة المزايا المرتبطة بالصداقة معها، بما فيها غطاء كامل على تجاربه النووية، وإطلاقاته المتكررة من نسخ الصواريخ متعددة الابعاد التي تضغط على عصب واشنطن بشكل دائم. بالتوازي مع ضبط عقارب الساعة مع بكين، اصبح بإمكان بوتين الاعتماد على ركيزة رئيسية ضخمة وهي اللجوء الى زميله العملاق الاوراسي الذي يحمل قبعة الاقتصاد العالمي.

الى الجنوب الغربي، حيث البحر الاسود، الممر الروسي الوحيد الى المياه الدافئة، اعلن الرئيس التركي رجب اردوغان ان بلاده –العضو في حلف الناتو، لن تسمح للغرب بجرها الى الحرب ضد روسيا، وانه لن يلتزم بالعقوبات الاحادية التي فرضتها واشنطن على موسكو من طرف واحد، وواصلت انقره نشاطاتها التجارية بما فيها استقبال شحنات القمح والنفط والغاز الروسيين. وهو ذات الموقف الذي اتخذته قيادة المجر[33]/هنجاريا –عضواً في حلف الناتو، والتي تواصل التحذير من عواقب التصعيد مع روسيا. وبالمثل

[32] https://www.dw.com/ar/%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%B9%D9%86-%D9%86%D8%B4%D8%B1-%D8%A3%D8%B3%D9%84%D8%AD%D8%A9-%D9%86%D9%88%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D9%83%D8%AA%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A8%D9%8A%D9%84%D8%A7%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7/a-65122167

[33] https://www.almayadeen.net/news/politics/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D8%B1:-

اعلنت صربيا[34]– الجاثمة على قلب الاتحاد الاوروبي، موقفها المساند لحليفتها التاريخية موسكو رغم الضغوطات، وامتد النفوذ الروسي للتأثير في مسار السياسة في الشرق الاوسط وصولا الى القارة الافريقية، حيث يقرع الغرب طبول الحرب الان في الشريط الافريقي الغربي، بعد اطاحة الضباط برجل فرنسا في النيجر.

الى جانب عشرات القمم الاقتصادية والمؤتمرات السياسية التي تم تنظيمها في مبنى الكرملين ووزارة الخارجية الروسية، إستمرت مقاطعة سان بطرسبرج في مد سجادتها الحمراء لاستقبال العديد من قادة العالم والاقتصاديين الذين تقاطروا عليها بهدف توقيع مئات الصفقات الاقتصادية والعسكرية بمليارات الروبيلات الروسية. كان اخرها القمة الروسية–الافريقية التي عقدت خلال الفترة الممتدة 27–28 يوليو تموز 2023، وحضرها اكثر من 47 رئيس دولة ونائبين للرؤوساء (من اصل 54 دولة افريقية) و109 وزراء ووفودا اقتصادية رفيعة المستوى بما فيها بنك الاستيراد والتصدير الافريقي، والتي عبر قادتها عن تفهمهم لخطوات موسكو على الساحة الدولية، وجوهرها كسر الاحتكار الامريكي لموارد العالم وانهاء الهيمنة الامريكية والفرنسية على العالم بما فيها القارة الافريقية. ووصفها المراقبون بأنها «الحدث الأعلى مستوى والأكبر حجمًا في العلاقات الروسية الأفريقية» يهدف الى تحقيق «مستوى جديد من الشراكة والمنفعة المتبادلة» بين روسيا والقارة الافريقية[35]. بما يضمن تعزيز الجهود لتوطيد التعاون الشامل والمتساوي بين روسيا والدول الأفريقية في جميع مجالات المجتمع بما في ذلك، السياسة والأمن والعلاقات الاقتصادية والعلوم والتكنولوجيا والمجالات الثقافية والإنسانية". ومع انتهاء اعمال هذا المؤتمر اعلن

%D9%86%D8%B1%D9%81%D8%B6-
%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%A8%D8%A7%D8%AA-
%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%AA%D9%82%D9%8A%D8%AF-
%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D9%88%D9%86%D9%86%D8%A7-%D9%85%D8%B9-
%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7-%D8%A8%D8%B4%D8%A3%D9%86-
%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D9%82%D8%A9

[34]https://www.aa.com.tr/ar/%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A/%D8%B5%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A7-%D9%86%D8%AD%D9%86-%D9%81%D9%82%D8%B7-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D8%A7-%D9%84%D9%85-%D9%86%D9%81%D8%B1%D8%B6-%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7/2667114

[35] https://african.business/2023/06/resources/russia-africa-summit-to-take-place-in-st-petersburg-from-26-29-july

الرئيس فلاديمير بوتين[36] التزامه بالبدء في شحن 25.000 إلى 50.000 طن من الحبوب مجانًا لكل من الدول الأفريقية الست في الأشهر الثلاثة إلى الأربعة المقبلة إلى بوركينا فاسو وزيمبابوي ومالي والصومال وإريتريا وجمهورية إفريقيا الوسطى، وبلغ إجمالي الديون التي شطبتها موسكو قرابة 23 مليار دولار. وفي آخر الطلبات الواردة من البلدان الأفريقية، خصصت الكرملين أكثر من 90 مليون دولار للأغراض الإنمائية[37]"

سياسة الاستقطاب السلسة التي يعتمدها الكرملين، دفعت أليكس فاينز[38]، رئيس البرنامج الأفريقي في تشاتام هاوس، للاشارة إلى فشل الإجراءات الشاملة التي فرضتها الدول الغربية. يقول فاينز، "لطالما حلمت موسكو بنظام مالي وتجاري بديل ومنفصل عن الغرب – وهو أمر أصبح الآن أكثر إلحاحًا نظرًا للعقوبات المفروضة على روسيا". وأضاف فاينز: تصبح إفريقيا مهمة في هذا الصدد حيث تبحث روسيا عن شراكات جديدة. وهو ما اشار اليه الرئيس بوتين[39]، بأن حجم التبادل التجاري بين روسيا والدول الأفريقية زاد بنحو 35٪ في النصف الأول من عام 2023 على الرغم من العقوبات الدولية. وخلال حديثه في اجتماع ثلاثي ضم رئيس الاتحاد الأفريقي، رئيس اتحاد جزر القمر غزالي العثماني، ورئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي موسى فقي محمد، قال بوتين، "رغم فرض الإجراءات غير الشرعية والعقوبات ضد روسيا، الا ان ضمان نمو وتيرة العلاقات التجارية والاقتصادية مع الدول الأفريقية كان مضموناً".

[36] https://apnews.com/article/russia-africa-summit-ukraine-grain-war-125d5a6d5052f4221c46be52c1618cf7
[37] https://sputnikarabic.ae/20230728/%D8%A8%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7-%D8%AA%D8%AE%D8%B5%D8%B5-90-%D9%85%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%B1-%D9%84%D8%AA%D8%AE%D9%81%D9%8A%D9%81-%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A9-1079497139.html
[38] https://www.aljazeera.com/news/2023/7/27/putin-on-a-charm-offensive-as-africa-russia-summit-kicks-in
[39] https://www.africanews.com/2023/07/27/russias-trade-with-africa-increased-by-35-in-the-first-half-of-2023/

من ناحية، تواصل موسكو حضورها الفاعل وتعزز روابطها الاقتصادية والسياسية والعسكرية في صفوف منظمة شنجهاي[40] للتعاون – تاسست في عام 2001 كنواة علاقة بين الصين وروسيا، وإنضمت اليها أيضًا الهند وباكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وأوزبكستان وتمثل جزءًا كبيرًا من أوراسيا، مع إدراج أكبر دولتين في العالم من حيث عدد السكان (الصين والهند)، حوالي 40٪ من سكان العالم. من ناحية اخرى، تواصل مجموعة بريكس BRICS الهادفة الى[41] تحدي الهيمنة الامريكية والاوروبية على العالم، وتضم كل من (البرازيل الصين الهند جنوب افريقيا الى جانب روسيا)، تمددها واتساعها، ومع اقتراب انعقاد القمة الخامسة عشر في جوهانسبيرغ، آب اغسطس، تحت شعار:"التعاون من أجل النمو الشامل والازدهار المشترك في الثورة الصناعية الرابعة". ينتظر قادة المجموعة على جدول اعمالهم[42] فتح مزيداً من المجالات الجديدة للتعاون بين الاعضاء، على النحو الذي اقترحته جنوب أفريقيا:

1. إنشاء مجموعة عمل معنية بحفظ السلام
2. إنشاء مركز أبحاث اللقاحات للتعاون مع شركاء تطوير لقاحات البريكس وابتكارهم
3. إنشاء منتدى البريكس للنوع والمرأة
4. الاستفادة من استراتيجية الشراكة الاقتصادية لمجموعة بريكس لتحقيق النمو الشامل ودفع الثورة الصناعية الرابعة، و
5. إنشاء مسار تعاون سياحي لدول البريكس. الى جانب

مناقشة طلبات انضمام[43] اعضاء جدد الى صفوفها، حيث أشارت قرابة 40 دولة إلى رغبتها في الانضمام الى المجموعة، من بينها 22 طلبًا تم تقديمها بشكل رسمي، منها: المملكة العربية السعودية، إيران،

[40] https://edition.cnn.com/2023/07/04/asia/sco-summit-xi-putin-modi-intl-hnk/index.html
[41] https://www.africanews.com/2023/07/10/brics-summit-in-south-africa-to-be-held-in-person/
[42] https://sdg.iisd.org/events/10th-brics-summit/
[43] https://www.silkroadbriefing.com/news/2023/07/31/india-wants-strict-new-brics-membership-entry-rules/

مصر، بنغلاديش، الجزائر، الأرجنتين، إثيوبيا وفانزويلا، بينما تستمر دعوة دول أخرى بشكل دوري لحضور اجتماعات المنظمة بما في ذلك إندونيسيا.

على الجانب الاخر، تواصل روسيا وزملائها في مجموعة اوبك+[44]، العزف المتناغم على خطوط امدادات السوق العالمية من احتياجات الطاقة مع مزيد من الخفض الطوعي، وفق مبدأ العرض والطلب. على عكس تفضيلات واشنطن وحلفاؤها الهادفة الى اغراق السوق بالنفط لضرب الاقتصاد الروسي، المعتمد على صادرات الطاقة في تمويل العملية العسكرية في اوكرانيا وفقاً لاعلاناتهم. الامر الذي يثير غضب واشنطن وتعتبره تساوق اعضاء اوبك+ مع المصالح الروسية.

كما في افريقيا وامريكا اللاتينية، اوجدت موسكو لنفسها مكاناً يُحتفى به، كان حضورها لامعاً في منطقة الشرق الاوسط، واطلقت منصة تفاهم بين كل من تركيا وسوريا بالشراكة مع الامارات والعربية السعودية وايران، لاعادة الامن والاستقرار المفقود الى سوريا. ويرى مراقبون[45] ان حضور وزير الخارجية الروسي المتكرر الى المنطقة العربية، بما فيها دول الخليج، دليلاً على عمق العلاقات السياسية والاقتصادية التي تمكنت روسيا من بنائها مع دول المنطقة. وتثبت هذه العلاقات الدور المهم لروسيا في سياسة هذا الجزء من العالم. مستفيدة من الاخطاء التي ارتكبتها ادارة بايدن، خاصة مع وريث العرش السعودي محمد بن سلمان، الى جانب اخفاقها في انهاء ازمة الملف النووي الايراني. والحرب في اليمن حيث نجحت الجهود الدبلوماسية الصينية.

الرؤية المشتركة

بينما يبدو بوتين كضامن للامن الغذائي العالمي خاصة للدول الفقيرة والمتعثرة في افريقيا والشرق الاوسط، الى جانب ظهوره كـ ثائر اممي مُهيأ لإسقاط النظام العالمي احادي القطبية بكل الوسائل بما فيها المواجهة

[44] https://www.cnbc.com/2023/06/05/opec-oil-prices-pop-after-saudi-arabia-pledges-production-cuts.html
[45] https://www.osw.waw.pl/en/publikacje/analyses/2021-03-23/russia-activates-its-policy-persian-gulf-region

العسكرية الدائرة على الارض الاوكرانية. يواصل العملاق الصيني صعوده وتوسيع حضوره السياسي والاقتصادي العابر، بعد ان تيقنت بكين من قدرة مبادرة الحزام والطريق على تحقيق أهدافها التنموية. أثبتت الصين[46] نفسها كطرف فاعل عالمي، لقد عززت دورها كواحدة من حفنة صغيرة من البلدان ذات المصالح في جميع أنحاء العالم والقدرة على العمل بشأنها. إن وجود الصين محسوس الآن في كل ركن من أركان العالم، من جنوب المحيط الهادئ إلى جنوب ووسط آسيا، والشرق الأوسط الأوسع، وأمريكا اللاتينية، وما بينهما. يقول معهد بروكينجز [47] في تقريره، استيقظت الولايات المتحدة على التهديد طويل الأمد الذي تشكله الصين على دورها طويل المدى كقوة رائدة في المنطقة. بينما تتقارب وجهات نظر الحزبين حول الحاجة إلى استجابة أكثر قوة لصعود الصين على الصعيدين العالمي والإقليمي، إلا أن فوائد توثيق العلاقات مع والصين يبدو انها تفوق التكاليف، وبالنظر إلى الخيارات المحدودة وسط الانكماش الاقتصادي الخطير، فمن المرجح على سبيل المثال، أن تواصل دول أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي الاستثمار في علاقات أقوى مع بكين على حساب علاقاتها مع واشنطن.

ضمن هذا الحضور الفاعل، أطلق الرئيس الصيني شي جين بينج[48] مبادرته لاحلال السلام في اوكرانيا من خلال المفاوضات، بعيداً عن مصالح واشنطن المُرتكزة حول ضرورة إستمرار الحرب– رفضتها واشنطن دون مناقشتها. الى جانب نجاحه في إعادة إستئناف العلاقات الدبلوماسية بين الخصمين الاقليميين الرياض وطهران، وبالتالي قطع الطريق امام المشروع الامريكي الساعي الى استمرار تغذية الخلاف في المنطقة العربية، بهدف إنشاء تحالف عسكري عربي–إسرائيلي على غرار حلف الناتو، موجه ضد طهران.

ومع تزايد نفوذ الصين على الاقتصاد العالمي، وقدرتها المتزايدة على إبراز القوة العسكرية، فإن المنافسة بين واشنطن وبكين بدت تطفو اكثر وتأخذ منحنى جديد من التوتر. يؤكد قادة كلا البلدين بتفاؤل أنه

[46] https://www.brookings.edu/articles/global-china-regional-influence-and-strategy/
[47] https://www.brookings.edu/articles/china-and-latin-america-a-pragmatic-embrace/
[48] https://www.china-briefing.com/news/chinas-peace-plan-for-ukraine-russia-the-european-union-and-united-states/

يمكن إدارة المنافسة دون اشتباكات تهدد العالم[49]. ومع ذلك تغلب وجهة النظر الاخرى القائلة ان قوة روسيا مضافة الى قوة الصين، الى جانب الجهود الواعية التي يبذلها صناع السياسة عبر العالم لتعزيز اركان عالم متعدد الأقطاب ومصمم لمقاومة الهيمنة الأمريكية على النظام الدولي، يساعد في الدفع نحو اعلان تحالف موازي للهيمنة الامريكية في وقت قريب جداً[50].

صناعة توازن القوى

يشكل تحالف روسيا والصين نواة راسخة لقوتين عظميين تتمتعان بالعديد من عناصر القوة الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية، مدفوعة بقاعدة صناعية وانتاجية ضخمة الى جانب موارد طبيعية لا حصر لها. وعليه، فإن تكامل القطبين سيعود قطعا بالنفع على باقي دول العالم التي عانت من عذابات دول الاستعمار وهيمنة أمريكا والناتو[51]. في هذا السياق، تجادل باتريشيا كيم[52]، الخبيرة في السياسة الخارجية الصينية في معهد بروكينغز، إن الصين اصبحت تنظر الى روسيا كحليف أساسي، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أن شي يرى بوتين على أنه مفتاح تآكل النظام العالمي المتمحور حول الغرب. وتضيف كيم، هذا هو السبب في أن شي لم ينأى بنفسه أكثر عن بوتين، على الرغم من التكاليف الباهظة التي دفعتها الصين لمضاعفة شراكتها الاستراتيجية مع روسيا.

مع هذه الرياح غير المواتية، تأكدت واشنطن ان التحالف الصيني–الروسي يأخذ صفة "منافساً خطيراً" على الساحة الدولية. وفقاً لتقرير مؤسسة راند[53]، فإن العلاقة الصينية الروسية ستستمر في التعزيز بسبب الاتجاهات في ميزان القوى لصالح الحليفين مع تراجع القوة النسبية للولايات المتحدة، واستمرار السياسات الأمريكية التي تشير إلى نوايا عدوانية تجاه الصين وروسيا معاً. ضمن هذا السياق، جاءت زيارة الرئيس شي جين بينج اواخر مارس/اذار 2023، لموسكو في لحظة تاريخية فارقة، وكانت بمثابة إعلان ولادة

[49] https://www.nytimes.com/2011/11/21/opinion/how-china-can-defeat-america.html
[50] https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/09662830108407482
[51] اللواء اركان حرب محمد الغباشي- قناة روسيا اليوم، 24مارس اذار 2023
[52] https://foreignpolicy.com/2023/04/06/china-france-taiwan-us-saudi-arabia-iran-diplomacy-trade-military/
[53] https://www.rand.org/pubs/research_reports/RR3067.html

قطب عالمي جديد قادر على مواجهة واشنطن وحلفائها عبر العالم.

الافعال تتسق مع الاقوال بين الحليفين، في كلمته قبل توجه لزيارة موسكو بدعوة من الرئيس بوتين، صرح الرئيس الصيني شي جين بينج[54]، بأن "الصين وروسيا هما أكبر جيران لبعضهما البعض وشريكان استراتيجيان في التنسيق الشامل". مضيفاً، "كلانا دول رئيسية في العالم وعضو دائم في مجلس الأمن، ويلتزم كلا البلدين بسياسة خارجية مستقلة ويعتبران علاقتنا أولوية قصوى في دبلوماسيتنا". ويتابع شي "ان كل من موسكو وبكين أنشئآ مجموعة كاملة من الآليات للتفاعلات عالية المستوى والتعاون متعدد الأوجه الذي يوفر ضمانات نظامية ومؤسسية مهمة لنمو العلاقات الثنائية". ويؤكد "لقد رسمنا معًا مخططًا للعلاقات الثنائية والتعاون في مختلف المجالات، وأجرينا اتصالات في الوقت المناسب بشأن القضايا الدولية والإقليمية الرئيسية ذات الاهتمام المشترك، مما يوفر إشرافًا قويًا على النمو المستدام والسليم والمستقر للعلاقات الصينية الروسية".

بعد محادثات دبلوماسية ناجحة أجريت في بكين، واتفاق الطرفان الايراني–السعودي على عودة العلاقات الدبلوماسية بينهما والعمل على تعزيزها وتطويرها في كافة الجوانب. لم تتوقف بكين عند هذا الانجاز، بل طرحت مبادرتها لقيادة عملية سلام بين روسيا وأوكرانيا بعيداً عن رغبات واشنطن، الى جانب عقد القمة العربية–السعودية–الصينية. هذه التطورات والأحداث تؤكد أن الدبلوماسية الصينية بدأت تتواجد حيث تتعثر واشنطن، خاصة بعد اعتمادها مبادرة الأمن العالمي الصينية 2023، وجوهرها: أن قضية الأمن تتعلق برفاهية شعوب جميع بلدان العالم، والقضية السامية للسلام والتنمية العالميين، ومستقبل البشرية، مع الالتزام الشامل بأهداف ومبادئ ميثاق الامم المتحدة (GSI)[55]، بالنظر الى أن بكين غير معروفة بالوساطة بين الاطراف المتنافسة و/أو المتحاربة سابقاً. لكن الانشطة الدبلوماسية الجارية تُنبئ بغير ذلك، وتؤكد حضورها لتصحيح السرد منعاً من تأكيد رواية المآمرة، في أول زيارة[56] خارجيه له بعد انتخابه لفترة رئاسية ثالثة، حطت طائرة شي في موسكو محطته الاولى، واستقبله الجانب الروسي بحفاوة

[54] https://www.fmprc.gov.cn/eng/zxxx_662805/202303/t20230320_11044359.html
[55] https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjbxw/202302/t20230221_11028348.html
[56] https://www.cnbc.com/2023/03/22/china-and-russia-affirm-multi-year-economic-cooperation.html

بالغة، واثمرت هذه الزيارة عن تأسيس حزمة إستثمارات جديدة من ثمانين مشروعاً استثمارياً ثنائياً، وتعهد الجانبان بزيادة حجم التجارة الثنائية بشكل كبير حتى عام 2030.

يأتي تأكيد التعاون[57] الاقتصادي بين روسيا والصين صعوداً، في الوقت الذي فرضت فيه واشنطن وحلفاؤها عقوبات على موسكو بسبب "غزوها" لأوكرانيا، حيث رفضت بكين تسميتها غزوًا. كما، ورفضت[58] خطوات الغرب العقابية ضد موسكو، ووجهت مشترياتها من النفط والفحم والغاز الروسي بمليارات اليوان. وقفزت واردات الصين من النفط الخام من روسيا بنسبة 8٪ في عام 2022 مقارنة بالعام السابق ووصلت إلى 86.25 مليون طن، بمعدل (1.7 مليون برميل يوميًا)، وأعطى ذلك روسيا حصة 17٪ من سوق النفط الصيني، ارتفاعا من 15٪ في العام السابق 2021. ويشير استخدام العملة المحلية (الروبل واليوان)، في التبادل التجاري الذي وصل بالفعل الى ثلثي مدفوعات الصفقات التجارية بين البلدين الى تطور كبير في العلاقات بينهما ورغبتهما الجامحة على إزالة التاج الملكي عن رأس الدولار الامريكي. في هذا الصدد، أظهرت بيانات الإدارة العامة للجمارك[59] في الصين خلال الفترة من يناير إلى مايو من العام 2023، أن التجارة الثنائية بين روسيا والصين بلغ إجمالها أكثر من 93.8 مليار دولار، بزيادة 40.7٪ مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي. كما أظهرت البيانات المنشورة مطلع شهر يوليو تموز، أن صادرات الصين إلى روسيا وصلت إلى 42.96 مليار دولار منذ يناير 2023، بزيادة 75.6٪ مقارنة بعام 2022. وشهدت أرقام إجمالي القيم التجارية وإجمالي الصادرات أكبر قفزات لها منذ بدء الحرب الروسية –الأوكرانية، حيث أصبحت روسيا الشريك التجاري الأسرع نموًا للصين في العالم، ومتوقع ان تصل الى 200 مليار دولار مع نهاية هذا العام، وهو قريب من المبلغ الذي رصدته الادارة الامريكية وقوى الغرب الجماعي لتغذية الحرب في اوكرانيا.

[57] https://www.hellenicshippingnews.com/china-and-russia-affirm-economic-cooperation-for-the-next-several-years/
[58] https://www.reuters.com/business/energy/how-china-benefits-western-sanctions-russias-energy-exports-2023-03-20/
[59] https://edition.cnn.com/2023/06/07/business/china-russia-trade-increase-intl/index.html

على هذا النحو، يقول الخبراء إن دول البريكس[60] لديها إمكانات كبيرة لتعميق تعاونها التجاري نظرًا للتكامل الصناعي القوي. فمن ناحية، تتعامل الأسواق الناشئة والبلدان النامية مع عالم متزايد التقلب. من ناحية أخرى، من المتوقع أن يوسع قادة البريكس التجارة البينية في المنتجات الزراعية والطاقة والموارد والتكنولوجيا الفائقة وتصنيع المعدات والخدمات الحديثة في السنوات المقبلة. ويرى جونتر مايهولد[61]، نائب مدير المعهد الألماني للشؤون الدولية والأمنية SWP، أن الأسطورة التأسيسية للاقتصادات الناشئة/ بريكس قد تلاشت، وتشهد الان مرورها بلحظاتها الجيوسياسية، وتحاول هذه المجموعة الان تقديم أنفسهم كممثلين للجنوب العالمي، وتضع نفسها كبديل[62] للمنتديات المالية والسياسية الدولية القائمة. مع وضع ذلك في الاعتبار، يقول عالم السياسة ماثيو بيشوب من جامعة شيفيلد لمرصد الاقتصاد: من الناحية الدبلوماسية، يبدو أن الحرب في أوكرانيا قد رسمت خطاً فاصلاً صارخاً بين روسيا المدعومة من الشرق وبين الغرب، ونتيجة لذلك، يشعر بعض صانعي السياسة في أوروبا والولايات المتحدة بالقلق من أن تصبح دول البريكس نادٍ اقتصاديًا للقوى الصاعدة التي تسعى للتأثير على النمو والتنمية العالميين، وأكثر من كونها ناديًا سياسيًا تحدده قوميتها "الاستبدادية".

الاستنتاجات

الحجة المركزية لنظرية توازن القوى قائمة على أنه: عندما تجمع دولة واحدة السلطة العالمية في يدها، تتحفز الدول المتضررة للتعاون من خلال تحالف دفاعي عن مصالحها للتخفيف من تركيز السلطة في يد دولة واحدة. فالاصل في تحالفات توازن القوى هو، تعدد الدول ضمن تحالف واحد او اكثر، على قاعدة الحد الادنى من الاتجاه والحد الاقصى لنموذج التوازن المتكرر. بعبارة اخرى، قد يتخذ تحالف اوبك+ على سبيل المثال قراراً بخفض الانتاج مما يلحق ضررا باقتصادات احدى الدول غير الاعضاء

60 https://english.www.gov.cn/news/internationalexchanges/202206/22/content_WS62b289abc6d02e533532c8c2.html

61 https://www.dw.com/en/a-new-world-order-brics-nations-offer-alternative-to-west/a-65124269

62 https://frontline.thehindu.com/news/brics-nations-offer-a-new-world-order-as-alternative-to-the-west/article66667657.ece

في المنظمة، لكن هذا القرار لا يعني بالضرورة ان تنسحب هذه الدولة المتضررة من صفوف منظمات اخرى على غرار بريكس او تحالف مجموعة شنجهاي او مشروع الحزام والطريق الصيني، لما توفره هذه المنظمات من مزايا تساعد الدولة المتضررة على تقليل حجم الضرر الناجم عن تخفيض امدادات الطاقة، بالاضافة الى حاجة هذه الدولة الى ضامن امني او عسكري من احدى الدول الاساس في هذه المنظمات وهنا: موسكو وبكين .

السياسة التي تنتهجها كل من موسكو وبكين قائمة على اساس تعدد مراكز القوى في العالم وليس بالضرورة احتكار القوة على غرار القطبية الثنائية التي سادت العالم، هذا السلوك القائم يدفع الدول من الصف الثاني على سبيل المثال (الهند، دول افريقيا، الدول العربية والاسلامية، دول امريكا اللاتينية) لتبني هذا النهج والترحيب به، على قاعدة ان توازن القوى العالمي يجب ان يكون قائماً على تعدد الاقطاب أو الاطراف وليس بالضرورة حكراً على قطبين، والحجة الكبيرة في ذلك، ان هذا النهج الثنائي القطبية ادخل العالم في حرب باردة ولم يستطع توفير الاستقرار المنشود، ومع انهيار الكتلة الشرقية بدا واضحا مدى الخلل الذي اصاب العالم مع تفرد واشنطن بالقرار الدولي.

نظرية توازن القوى او تعدد مراكز الاقطاب العالمية التي تدعو اليها كل من بكين وموسكو وحلفاءهما، قادرة على ضبط عقارب الساعة وإعادة تشكيل النظام الدولي من جديد، بما يتماشى ومصالح الدول الصغيرة او المتعثرة. وهي نمط على الارجح سيكتب له النجاح، شريطة ان لا تنتهي الحرب الروسية–الاوكرانية بحرب نووية –الفرضية غير قائمة بحسب تطورات العملية العسكرية لكن احتمال وقوعها ليست صفرية. للاعتبارات التحفيزية التالية:

1. ايجاد تكتل او تحالف يمنع الدولة المهيمنة من استخدام قوتها الهائلة في مصادرة مصالح وحقوق الاخرين. ضمن هذا المفهوم: استطاعت بكين وموسكو تهيأة الارضية من خلال منظمة اوبك+، تحالف بريكس، منظمة شنجهاي للتعاون وطريق الحرير الصيني .

2. تفعيل مرجعية عالمية نزيهة قادرة على ادارة مصالح دول العالم، شبيهة بالامم المتحدة حاليا لكنها اكثر عدلاً ونزاهة. بما يشمل الدعوة الى اصلاح مجلس الامن مع ضمان تمثيل متوازن لقارات العالم

وهو ما رحبت به معظم دول العالم كـ(الهند، باكستان، الجزائر، العربية السعودية،دول امريكا اللاتينية...).

3. زيادة حالة اليقين والثقة من نوايا الدول تجاه بعضها، وبالتالي إحلال التعاون بدلا من حالة عدم اليقين السائدة حالياً.

يتفق الرئيسان شي جين بينج[63] وفلاديمير بوتين على ضرورة اعادة تشكيل النظام العالمي الحالي، وصياغته على اساس المنفعة المتبادلة وكسر الاحتكار الامريكي، يقول تشي" تلتزم الصين وروسيا بشدة بحماية النظام الدولي المتمركز حول الأمم المتحدة، والنظام الدولي الذي يدعمه القانون الدولي، والأعراف الأساسية للعلاقات الدولية القائمة على مقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة. ونعمل معًا من أجل عالم متعدد الأقطاب في العلاقات الدولية لا رجوع فيها. وبالمثل، ينظر بوتين من نظارة شي، ويؤكد انه ان الاوان لانهاء النظام العالمي القائم على الهيمنة الامريكية والغربية، يقول بوتين "إن عصر النظام العالمي أحادي القطب يقترب الان من نهايته".

[63] https://www.fmprc.gov.cn/eng/wjdt_665385/zyjh_665391/202303/t20230320_11044359.html